والرسائل وما فى كتب السير من نصوص ، مع الاعتماد التـــام على نطق الفصحاء الأعراب الذين رحـلوا إليهم أو وفدوا إلى الأمصار ، وكان من المفيد مع ذلك أن توجه عناية مستقلة للشعر باعتباره مستوى من اللغة الأدبية له وسائله الخاصة فى التصوير والتعبير لمعرفة ما ينفرد به عن النثر .

ومما يؤخذ على النحاة أيضاً أنهم فرضوا النتائج التى استقرؤوها — مع الاهتمام بلغة الشعر — على كل استعمال العربية الفصحى ، وترتب على ذلك كثرة القواعد وتعددها ، وتعدد الآراء حولها ، وتفرع عليه الحكم بالضرورة والندرة والشذوذ ، إذ تذكر القاعدة العامة مما يشمل الشعر والنثر ، ثم تدل نصوص الشعر على ما لا يتفق معها ، فتذكر قاعدة أخرى بجوارها ، أو تنفرد بعض نصوص الشعر بما يخالف القاعدة ، ولا تتوافر النصوص التى تؤيد اطرادها ، فيتفرع على القاعدة العامة آراء أو استعمالات فى شكل تنبيهات أو استدراكات ، أو يحكم على تلك المظاهر المنفردة فى لغة الشعر بالندرة أو الشذوذ ، أو يحدث الطعن فى هذه النصوص نفسها بعدم الثقة فى رواياتها أو متنها ، وأدلة كل ذلك أشهر من أن تذكر ، إذ هى صلب دراسة النحو ، ولنا أن نتناول أحد المطولات — كالأشمونى مثلا — وقراءة باب واحد — أى باب — وأنا زعيم بوجود أدلة فيه لكل ما سبق .

فما العمل إذن ؟!

لا جديد أضيفه هنا إلى ما اقترحته فى الفكرة السابقة عن « اختلاف لغة الشعر عن النثر والكلام العادى » سوى أن دراستنا للفصحى المعاصرة ينبغى أن تعتمد أصلا على النثر باعتباره الممثل الصحيح لاستعمال اللغة ، مع الاهتمام بلغة الشعر أيضاً باعتبارها مستوى خاصاً له خصائصه المتعددة